

الصعود الإسلامي في الفضاء الغربي



د. محمد عمارة

مليون فقط.. ولقد صفت ١٠٪ من كنائسها رسمياً باعتبارها زائدة عن الحاجة، ومرشحة للبيع مطامع وملاه وحتى علب ليل!..

- وفي أمريكا انخفض حضور القديس الكاثوليكي بنسبة ٤٠٪. والإنجيلي بنسبة ٣٠٪ عنه في خمسينيات القرن العشرين!..

- وفي هذا «الخراب الديني» الذي أحدثته العلمانية في أوروبا، أخذ التمدد الإسلامي يجتذب العقول والقلوب، وذلك على الرغم من تصاعد موجات العداة. الاسلامو فوبيا. لهذا التمدد الإسلامي.. وعلى سبيل المثال:

- فلقد زادت معدلات الالتفات إلى الإسلام، ومعدلات الدخول فيه عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فأصبح معدل الذين يدخلون الاسلام في أمريكا سنوياً أكثر من ٢,٠٠٠. وفي أوروبا - أكثر من ٢٣,٠٠٠. وفي ٢٠٠٧ أسلم في فرنسا وهولندا وألمانيا والنمسا والجزء الشمالي من بلجيكا. أكثر من ١١٤,٠٠٠ منهم ٤٠,٠٠٠ في ألمانيا وحدها.. هذا غير الذين يسلمون ولا يعلنون عن إسلامهم!..

- ونسبة المسلمين في ألمانيا ٣٪ من السكان.. لكن مواليدهم ١٠٪ من المواليد الألمان!.. بينما نسبة وفيات المسيحيين الألمان تفوق نسبة المواليد!.. وفي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ زاد عدد المساجد في ألمانيا من ١٤١ إلى ١٨٧.. وذلك غير ١٨٤ مسجداً تحت الإنشاء!..

- وفي إنجلترا، تقول الإحصاءات إن عدد المسلمين الملتزمين دينياً سيتفوق في العقود القادمة. على نظرائهم الأنجليكان!.. واسم محمد يسبق اسم جورج وباك وهاري في مواليد السنوات الأخيرة!.. وعلى حين زاد عدد المسلمين الإنجليز نصف مليون في أربع سنوات ٢٠٠٤ - ٢٠٠٨. نقص عدد المسيحيين الإنجليز في ذات المدة مليونين!..

- وفي فرنسا، يبلغ تعداد المسلمين ستة ملايين. حسب الإحصاء الرسمي وثمانية ملايين. حسب إحصاء الجمعيات الإسلامية.. في أكثر من ١,٠٨٠ مسجداً وزاوية.. ويعتقد الاسلام فيها أكثر من ٣,٦٠٠ سنوياً.

- وفي هولندا، أكثر من مليون مسلم. من جملة السكان البالغ عددهم اثني عشر مليوناً.. ولقد نفذت كل نسخ المصاحف الإلكترونية يوم عرض فيلم «فتنة». المعادي للقرآن الكريم!.. ولقد انتخب عدداً من مسلمة مدينة «نوتردام» أكبر الموانئ الهولندية.

- وفي بلجيكا، سيتشكل المسلمون غالبية سكان «بروكسل» عاصمة بلجيكا.. وعاصمة الاتحاد الأوروبي بعد عشرين عاماً.. واسم محمد هو الاسم الأكثر انتشاراً بين المواليد الجدد في بروكسل منذ ٢٠٠١م.. ولقد تضاعف عدد المسلمين في بلجيكا ما بين ١٩٩٥ و٢٠٠٥م.

- وفي روسيا الاتحادية، كان عدد المساجد عند سقوط الشيوعية ١٩٩٠م ٩٨ مسجداً، بلغ عددها ٢٠٠٨م ٧,٢٠٠ مسجد.. وهناك توقعات بأن يصبح المسلمون أغلبية في روسيا الاتحادية ٢٠٥٠م.. ومن ثم يحكم المسلمون موسكو، كما حكمها التتار المسلمون من قبل!..

- وفي أمريكا اللاتينية، اعتنق الاسلام ٢٠٠,٠٠٠ أمريكي لاتيني في ٢٠٠٧ وحدها.. حيث يهرب ٤٠٪ من شباب الكاثوليك من الكنيسة!..

- وفي آخر إحصاء «لمنتدى بيو» الأمريكي، فإن من المتوقع أن يزداد عدد المسلمين في كندا ثلاثة أضعاف خلال العشرين سنة القادمة.. وأن تضم الأرجنتين ثالث أكبر تعداد سكاني من المسلمين في الأمريكتين بعد الولايات المتحدة وكندا.. كما أنه من المتوقع زيادة نسبة المسلمين في كثير من دول العالم. حيث سيصبح المسلمون ٢٠٣٠م ٢٦,٤٪ من سكان العالم!.. تلك مؤشرات ومبشرات تقدمها الحالة الدينية في الغرب.. حيث همشت العلمانية المسيحية.. وحدث الفراغ الروحي الذي يتمدد فيه الاسلام. حتى لقد أعلن بابا الفاتيكان: «أنه يخشى أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الاسلام في القرن الحادي والعشرين!..» وبدلاً من أن يفيق الغرب من هذا الكابوس العلماني، يعمل جامداً. هو وعملاؤه في بلادنا. على أن نشرب الكأس المسموم الذي تجرعوه، والذي أدى إلى هذا الذي أشارت إليه هذه الحقائق والأرقام!

يعرف القس الألماني عالم الاجتماع. «جوتفرايد كونزلن». أستاذ اللاهوت الإنجيلي والأخلاقيات الاجتماعية بجامعة القوات المسلحة «بمينخ». العلمانية بأنها: الفصل التام والنهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية.. وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة وسياسة بلا دين!..

ويتحدث عن التأثيرات الكارثية التي صنعتها العلمانية بالانسان الأوروبي، وذلك عندما: «حولت المعتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية.. وقدمت الحدأة باعتبارها ديناً نبويًا. قام على العقل والعلم بدلاً من الدين الإلهي.. ففقدت المسيحية أهميتها فقدانا كاملاً، وزالت أهمية الدين كسلطة عامة تضيء الشرعية على القانون» والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس!..

ثم تحدث هذا اللاهوتي عالم الاجتماع. عن حال الحدأة. الدين الطبيعي الذي أصاب المسيحية بالإعياء. وكيف أن هذه الحدأة. التي حلت محل الدين. «قد عجزت عن الاجابة على أسئلة الانسان التي كان يجب عليها الدين، فدخلت. هي الأخرى في أزمة. بعد أن أصابت المسيحية بالإعياء.. فقد الانسان. في الغرب العلماني النجم الذي كان يهديه. نجم الدين. ونجم الحدأة معا.. فأصبحت القناعات العقلية مفتقرة إلى اليقين، بعد أن ضاعت طمأنينة الإيمان الديني.. الأمر الذي أفرز إنساناً لا يدري شيئاً عما وراء ظاهر الحياة الدنيا!.. وأصبح الخبراء بلا روح، والعلماء بلا قلوب!.. ثم جاءت فلسفة ما بعد الحدأة، ففككت أنساق الحدأة، الأمر الذي قذف بالانسان الأوروبي في هاوية العدمية والفضوية واللاإرادية، ثم تحدث عن أن الحاجة الانسانية للاجابة عن التساؤلات الطبيعية لم تزل قائمة بل تزايدت، الأمر الذي دفع الانسان الأوروبي للبحث عن طمأنينة الإيمان لدى مختلف المعتقدات. من التنجيم.. إلى عبادة القوى الخفية، والخرافة.. إلى الاعتقاد بالأشباح وطقوس الهنود الحمر.. إلى روحانيات الديانات الآسيوية. وحتى الإسلام الذي أخذ يحقق نجاحاً متزايداً في المجتمعات الغربية!.. إن بناء على هذا التحليل العبري للحالة الدينية لأوروبا: فقدت المسيحية سلطانها، بسبب العلمانية والحدأة!.. ثم دخل البديل العلماني الحدائى في الأزمة. وأصبحت أوروبا «فراغاً روحياً» تتمدد فيه العقائد الوافدة.. وفي مقدمتها الإسلام!.. «في النظرة إلى هذا الواقع تحدث بابا الفاتيكان «بنديكتس السادس عشر» في كتابه [بلا جنور، الغرب، النسيبية، المسيحية، الاسلام]. عن مخاوفه الثلاثة:

١ - «تحول المسيحية لدى غالبية الأوروبيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية في يوم من الأيام».

٢ - «وانقراض المسيحيين الأوروبيين، بسبب تفكك الأسرة، والاندفاع إلى حياة اللذة والشهوة التي أفرزتها وعظمتها العلمانية».

٣ - «والخوف من أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الاسلام في القرن الحادي والعشرين!»

وحتى لا يتطرق الشك إلى واقعية هذا التحليل المرعب عن «الفراغ الروحي» الذي أصابت به العلمانية الانسان الأوروبي، والذي فتح الأبواب لتمدد الاسلام في هذا الفراغ، يكفي أن تقدم نماذج للحقائق والأرقام التي تجسد هذه الحالة:

- فالذين يؤمنون بوجود إله. في أوروبا. حتى ولو لم يعبدوه. هم أقل من ١٤٪ من الأوروبيين!.. ومع ارتفاع مستويات المعيشة. في أوروبا المسيحية. هناك أعلى مستويات القلق والاكتئاب والانتماء!..

- والذين يذهبون إلى القديس مرة في الأسبوع. في فرنسا. بنت الكاثوليكية، وأكبر دولها. هم أقل من ٥٪ من السكان. أي أقل من ثلاثة ملايين أي نصف عدد المسلمين الذين يواظبون على صلاة الجمعة في فرنسا!..

- و٧٠٪ من كاثوليك روما. حيث الفاتيكان «يوافقون» على ممارسة الجنس قبل الزواج!..

- وفي ألمانيا، توقف القديس في ثلث كنائس أبرشية «آيسن» بسبب قلة الزوار!.. وهناك عشرة آلاف كنيسة مرشحة للإغلاق والبيع لأغراض أخرى!.. وتفتقد الكنائس الألمانية سنوياً أكثر من مائة ألف من أبنائها!..

- وفي إنجلترا، لا يحضر القديس الأسبوعي سوى